

الشواهد القرآنية في المعاجم اللغوية العربية ودورها في توضيح المعنى بين التأييد والإبانة

Qur'anic Testimonies in Arabic Dictionaries and their Significance in Clarifying the Semantic Distinction Between Substantiation and Interpretation

د. سليمة هالة¹ / المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف.ميلة / (الجزائر). salima.hala@centre-univ-mila.dz

تاريخ النشر: 31 / 12 / 2023

تاريخ القبول: 15 / 12 / 2023

تاريخ الاستلام: 15 / 10 / 2023

ملخص

تهدف هذه الورقة البحثية إلى معالجة قضية الشواهد القرآنية في المعاجم العربية وخاصة اللغوية منها، من خلال توضيح هدفها من الاستعمال فهل هي لتأييد ما ذهب إليه من معنى أم لتوضيح المعنى في حد ذاته؟ وهذا باب من أبواب الإعجاز الكامن في المفردات القرآنية. المعاجم اللغوية العربية ضمت العديد من الشواهد والأمثلة التوضيحية لتوضيح معاني المداخل من خلال الاستعمالات المختلفة للمفردات. لكن حضور القرآن الكريم فيها يمثل دعامة أساسية كونه المصدر الأول للفصاحة والبلاغة. الكلمات المفتاحية: الشواهد، الشواهد القرآنية، الأمثلة التوضيحية، المعاجم اللغوية.

Abstract:

The present research paper aims to shed light on the issue of Qur'anic testimonies or evidence in Arabic dictionaries, especially linguistic ones, by elucidating their intended functionality and purpose. On this premise, should they be regarded as asserted substantiation or as instruments for interpretation of the inherent meaning itself? This constitutes one facet of the miraculous nature embedded in the Qur'anic lexicon. Arabic dictionaries constitute several examples and illustrative examples to clarify the meanings of entries through different vocabulary uses. Nonetheless, the presence of the Holy Quran in it represents a fundamental pillar, as it is the primary source of eloquence and rhetoric.

Keywords: testimony, Quranic testimony, illustrative examples, linguistic dictionaries

¹ المؤلف المرسل: سليمة هالة، الإيميل: salima.hala@centre-univ-mila.dz

1- تمهيد:

يُبنى المعجم على أسس الجمع والوضع مهما كان نوعه، وتقتضي عملية الوضع الوصول إلى الهدف المنشود من المعجم وهو توضيح المعاني المستغلقة وتبيان دلالاتها العديدة من خلال وضعها في أمثلة توضيحية وسياقات لغوية عديدة. ولتأبيد المعنى يحتاج المعجمي إلى ضرب شواهد لسانية في الاستعمال العربي لتأكيد المعنى أحياناً، ولتوضيحه أحياناً أخرى.

فالشواهد هي جزء من التعريف في المفهوم الضيق، وجزء من النص المعجمي في المفهوم الواسع، لكون هذا الأخير يندرج ضمنه التعريف وما يصاحبه من مستلزمات تساعد على تجلي المعنى وتوضيحه. وبالتالي فقضية الشواهد في المعاجم العربية العامة منها والخاصة قضية جوهرية لا بد من معالجتها فهي وإن كانت مرحلة لاحقة من ضمن مراحل الوضع لكنها لها علاقة مباشرة مع المرحلة الأولى -مرحلة الجمع- التي تستند عليها المادة المعجمية في صناعة المعجم وتحديد مستويات مادته أيضاً.

ولمّا كان للشواهد عموماً والقرآنية خصوصاً أهمية بالغة في المادة المعجمية فأننا في هذه الورقة البحثية سنقتفي أثرها في المعاجم اللغوية القديمة منها والحديثة من خلال معجمي لسان العرب والوسيط في باب الباء. لتحديد درجة المساهمة في توضيح المعنى.

2- مفهوم الشاهد:

الشاهد في اللغة من شهد وهو يحمل معنيين اثنين يستنبط كلاهما من السياق ف"الشاهد: من يؤدي الشهادة. و: الدليل"¹. وما يهمننا هنا المعنى الثاني أي الدليل لكون الشاهد أو الاستشهاد هو الإتيان بدليل على القول أو الفعل عموماً.

أمّا في الاصطلاح فهو "ضرب من الاحتجاج اللغوي، فإن اللغوي يأتي بالشاهد ليكون حجة إمّا على وجود ما يحتج له في اللغة أو في الخطاب سواء كان وحدة معجمية أو كان تركيباً نحويًا، وإمّا على صحة استعماله"². فالشاهد غير مقترن بعلم أو بمجال محدّد بل يتعدى ذلك إلى علم النحو والبلاغة والأصول والفقه والمعجم وغيرها مما يحتاج فيه المتكلم أو المؤلف إلى تعزيز قوله وإثباته بالدليل القاطع بعيداً عن الشك والريبة.

ويكون الاستشهاد بالاستناد إلى نصوص موثوقة معروفة محدّدة. إذ هو "قيام علماء العربية للاستناد في إثبات الألفاظ اللغوية، وتقدير الأصول النحوية بالاعتماد في ذلك على المصادر الآتية: القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب"³. فهذه المصادر هي المناهل الأولى والأساسية التي جُمعت منها اللغة ويُنبت عليها القواعد والأحكام الشرعية والفقهية والنحوية والمعجمية وكل ما يمسّ الظاهرة اللغوية بأجملها.

يكتسب الشاهد صفة العلم أو المجال التابع له، فنقول شاهد بلاغي وآخر نحوي، وشاهد معجمي وهذا مصب اهتمامنا في هذه الورقة البحثية.

3- أنواع الشواهد في المعاجم:

بداية علينا الفصل بين الشواهد والأمثلة التوضيحية التي يعدّها البعض شواهداً أيضاً. فالشواهد التي نريدها هنا هي المصادر التي اعتمد عليها المعجمي في جمع مادته وهي نصّ صريح له قائل محدّد وله مضرب خاص من أمثال القرآن والحديث النبوي والشعر والأمثال والحكم وغيرها مما تمثل شاهداً معجمياً، في حين أن الأمثلة التوضيحية هي إدخال للمدخل المعجمي في سياقات مختلفة من إنشاء المعجمي لتوضيح المعنى، كون اللغة

العربية يتعدد فيها المعاني للفظ الواحد في مواضع عدّة، فكل سياق يحمل ما يخالف السياق الأول إمّا على سبيل المجاز أو للتعظيم أو للتصغير أو غيرها من الأعراس التي تنشأ من الاستعمالات اللغوية الكثيرة. وقد عبّر عن هذا حلام الجيلاني عندما قال "يتميز الشاهد اللساني عن المثال السياقي بأنه نص مقيد، أي منسوب إلى مدونة أو خطاب أو قائل بعينه، أي له مرجعية قبلية يعود إليها"⁴.

وبالتالي فإن أنواع الشواهد في المعاجم اللغوية العربية هي بصفة عامة شواهد مقيدة وأخرى حرة (الأمثلة التوضيحية)، وبصفة خاصة هي القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، الشعر، الأمثال، الحكم، الأقوال المأثورة. ومن أمثلة هذه الأخيرة- الشواهد المقيدة- نذكر ما جاء في معجم لسان العرب في مادة "الأدب" التي استشهد فيها المعجمي بأبيات شعرية:

والأدبُ : الداعي إلى الطعام . قال طرفةُ :
تَحْنُ في المَشْتَاةِ تَدْعُو الجَطْلِي ،
لا تَرَى الإِدْبَ فِينَا يَنْتَقِرُ⁵

كذلك ما ورد في المعجم ذاته تحت مادة "المؤاربة" التي أرفدها المعجمي بحديث نبوي شريف عبّر عنه بقوله "وفي الحديث" وهذا النص المعجمي:

والمُؤَارِبَةُ : المُدَاهَاةُ . وَفُلَانٌ يُؤَارِبُ صَاحِبَهُ إِذَا دَاهَاهُ . وَفِي الْحَدِيثِ : أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ذَكَرَ الْحَيَاتِ فَقَالَ : مَنْ نَخَشِي نُخْبَتَهُنَّ وَشَرَّهُنَّ وَإِرْبَهُنَّ ، فَلَيْسَ مِنَّا . أَصْلُ الإِرْبِ ، بِكسْرِ المِهْمَزَةِ⁶

أما في المعجم الوسيط فنجد من أمثلة الشواهد المقيدة ما ورد في مادة "البشرة" حيث دعم شرحه بمثل صريح وهذا نصّه:

(البشرة) : ظاهرُ الجلد . وبَشْرَةُ الأرض : ما ظهر من نباتها . (ج) بَشْرٌ . وفي المثل : «إنما يعاتبُ الأديمُ ذو البَشْرَةِ» : إنما يعاتب من فيه رجاءٌ ومُسْتَعْتَبٌ .⁷

هذه أمثلة عن تضمين الشواهد بين ثنايا المواد المعجمية، وقد استثنينا الشواهد القرآنية وهي كثيرة، للعنصر الموالي.

4- دواعي استعمال الشواهد القرآنية في المعاجم العربية:

تستخدم الشواهد عامة في المعاجم العربية منذ القدم لداعيين اثنين وهما:

1- آية من آيات الشرح:

تعددت طرق شرح المعنى المعجمي والتي كان من بينها التعريف بالشواهد، ويتم ذلك من خلال ذكر شاهد من الشواهد المقتسبة من كلام العرب شعرها ونثرها والمتمثلة في القرآن والحديث النبوي الشريف والحكم والأمثال ليتبدى المعنى عن طريق السياق الوارد في الشاهد. ف"الهدف الأكثر أهمية في المعاجم اللغوية من إثبات الشواهد المقيدة هو تعزيز التعريف لإظهار الاستعمال الفعلي للكلمة، وهي مدمجة في خطاب ضمن النظام اللساني"⁸. وهو في ذات الوقت وجه من أوجه تحديد المستويات اللغوية للمداخل فمن خلال عملية التعزيز بالشواهد يتم تحديد المستوى اللغوي التابع له اللفظ.

ولكون ورقتنا البحثية تخوض غمار الشواهد القرآنية فإننا سنسلط الضوء عليها دون غيرها في هذه النقطة. ومن الأمثلة عليها نذكر ما جاء في معجم لسان العرب "باب الباء" عندما تعرض لمدخل "الأب":

أب : الأب : الكَلأ ، وَعَبَّرَ بَعْضُهُمْ عَنْهُ بِأَنَّهُ
الْمَرْعَى . . وَقَالَ الزَّجَّاجُ : الْأَبُّ جَمِيعُ الْكَلِّ
الَّذِي تَعْتَلِفُهُ الْمَاشِيَةُ . وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ : وَفَاكِهَةٌ
وَأَبًا . قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : سَمَى اللَّهُ تَعَالَى الْمَرْعَى
كُلَّهُ أَبًا . قَالَ الْفَرَّاءُ : الْأَبُّ مَا يَأْكُلُهُ الْأَنْعَامُ .⁹

ففي هذا المدخل شرح المعجمي معناه، ثم ذكر الشاهد القرآني بكون هذه الكلمة واردة في القرآن الكريم وفسر الآية بناءً على المدخل وأوضح دلالاته المتضمنة فيها.

كذلك ما ورد في مادة "أوب" تحت مدخل "أوب":

وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ : وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُجْفَى وَحُسْنَ
مَآبٍ أَيُّ حُسْنِ الْمَرْجِعِ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ فِي
الْآخِرَةِ . قَالَ شَمْرٌ : كُلُّ شَيْءٍ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ
فَقَدْ آبَ يَأُوبُ إِياباً إِذَا رَجَعَ .¹⁰

عند الرجوع لبداية المدخل نجد المعجمي قد ذكر مشتقات "أوب" وبدأ بشرحها ومن بينها "أواب" التي تضمنها الشاهد فقد عقب عنها بعد ذكرها في الآية فكان الشاهد القرآني هنا بمثابة تعريفاً للكلمة. كون المعنى استخلص منه وبعد ذكره.

أما في المعجم الوسيط ويتقفي "باب الباء" لاحظنا أن الشاهد القرآني كان خاتمة التعريف فلا شرح بعده، وإنما كان حضوره تأكيداً للمعنى المطروح سالفاً. زهي كثيرة شأنه شأن المعاجم اللغوية القديمة التي اعتمدت على القرآن كمصدر أساسي في جمع المادة، في حين أن المعاجم الحديثة جعلت من المعاجم السابقة مصدراً لها وحذت حذوها في ذلك.

2- إثبات ما ذهب إليه من معنى:

يحتاج المعجمي إلى تأكيد المعنى فنراه يشرح المادة المعجمية ثم يردفها بمثال أو حكمة أو آية قرآنية أو حديث نبوي شريف لإثبات المعنى من جهة ولتأكيد وجود اللفظ في اللغة العربية من جهة أخرى. ولقد عدّ البعض هذه النقطة من وظائف الشاهد في المعجم اللغوي "ولعلّ من أهم الوظائف التي يحققها إثبات الشاهد في المعجم تأكيد وجود الكلمة المدخل أو دلالتها في اللسان الممعجم"¹¹. وخاصة إذا كان هذا الشاهد آية قرآنية من التنزيل العزيز فهي أكبر برهان وأقواه على أنّها عربية فصيحة أو أنّ معناها دقيق وصائب.

ومن أمثلتها نجد ما جاء في لسان العرب تحت مادة "أرب":

وَالْإِرْبَةُ وَالْأَرْبُ وَالْمَأْرَبُ كُلُّهُ كَالْإِرْبِ . وَتَقُولُ
العرب في المثل : مَأْرَبَةٌ لَا حَفَاوَةَ ، أَي إِنَّمَا بِيكَ
حَاجَةٌ لَا تَحَقُّقًا بِي . وَهِيَ الْآرَابُ وَالْإِرْبُ . وَالْمَأْرَبَةُ
وَالْمَأْرَبَةُ مِثْلُهُ ، وَجَمَعَهَا مَأْرَبٌ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى . وَقَالَ تَعَالَى : غَيْرِ أُولِي
الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ .

12

ورود الآيتين في النص المعجمي هنا كان لتعزير المعنى وتأكيدده، وهو الحاجة التي نصّ عنها المعجمي في شرحه. وما يلاحظ على هذا المدخل اعتماد نوعين من الشواهد وهي المثل والقرآن الكريم، فالكلمة جاءت في مثل عربي ولا خلاف على مكانة الأمثال عند العرب من الأهمية بمكان. لكن هذا لم يغني عن الشاهد القرآني الذي يعدّ دعامة كبرى في إثبات المعنى وتجليه.

إضافة لهذا نجد تحت مادة "ثقب":

وَتَقَبَ الْكَوْكَبُ تُقْبُوبًا : أَضَاءَ . وَفِي التَّنْزِيلِ
العزيز : وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النِّجْمُ الثَّاقِبُ .

13

الشاهد القرآني جاء لإثبات المعنى وهو الإضاءة، فالكلمة وردت في القرآن الكريم وحملت نفس المعنى، وبالتالي تأكيد ما ذهب إليه.

كذلك جاء في المعجم الوسيط وبكثرة أمثال هذا الجانب نذكر منها ماورد في مادة "تبرأ"

(تبرأ) من كذا : تَخَلَّصَ وَتَخَلَّى عَنْهُ .
وَفِي التَّنْزِيلِ العزيز : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ
الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ .

14

فالآية القرآنية أردفت بالتعريف كدليل على صحة المعنى المصرح به. والأمثلة كثيرة على شاكلة هذا النوع، فقد جاء أيضا في مادة "تبارك" ومادة "بزغت":

(تبارك) : ارتفع . و - الله : تقدّس وتنزّه
وتعالى . وفي التنزيل العزيز: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ
الْمُلْكُ ﴾ . و - به : تفاعل وتيمّن .

15

• (بَرَّغَتِ) السُّنُّ - بُرَّغًا ، وَبُرُوغًا : شَقَّتِ
اللحم فخرجت . و - الشمسُ ، أو القمرُ ،
أو النجمُ : بدأ طلوعه . وفي التنزيل العزيز:
﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا ﴾ . و - الطبيبُ الجلدُ

16

وهكذا تمّ اعتماد الشواهد القرآنية في المعاجم اللغوية بصفة ملحوظة وكثيرة، وقد أدّت وظائف عدّة أبرزها التعريف بالمادة من خلال سياق الآية الواردة فيها، وقد تجلّت من خلال ذكر الآية ومن ثمة التعقيب عنها بتحديد المعنى. كما أدّت دور تعزيز المعنى وتأكيدّه عن طريق إرداف المعنى بالشاهد القرآني فتكون الآية آخر نقطة تُذكر في التعريف المعجمي. إضافة للعديد من الوظائف الأخرى التي تخدم المعجم عامة والمادة المعجمية خاصة.

5- دور الشواهد القرآنية في المعاجم:

لعبت الشواهد القرآنية في المعاجم اللغوية العربية دورا فعالا في تجسيد الفصيح من الألفاظ والدقيق من المعاني، فالمعاجم قديمها وحديثها لم تستغن عن الشواهد عموما والقرآنية منها خصوصا فهي المصدر الأول في جمع المادة المعجمية، فمستعمل المعجم عند تصفحه للمعجم الوسيط مثلا وهو من المعاجم الحديثة التي نستطيع وصفها بالمدرسية يلاحظ كثرة الآيات القرآنية الموثوقة بين مواد المعجم، حتّى تكاد لا تخلو صفحة منها، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على التمسك بما جاءت به المعاجم القديمة والمثني على خطاها في دعم الشروحات والتعريفات بما ورد في القرآن الكريم، وهو كتاب الأمة الصّالح لكل زمان ومكان، ومنه فالألفاظ فيه ودلالاتها لا تتغير بتغير الزمن، وما قد نجده من دلالات مجاورة للفظ فإنما هي من باب المجاز والتوسع في الدلالات.

كذلك أدّت الشواهد القرآنية دور الحافظ الأمين للمعاني، والتي تساعد مؤلفو المعاجم التأثيلية والتاريخية في تتبع حياة الألفاظ ومعانيها، وبالتالي اختصار الطريق في عملية الجمع التي تُستهل بها صناعة المعاجم. كما تساعد الشواهد القرآنية - دائما - على صقل اللسان العربي لمستعمل المعجم وذلك بتقريب الفصيح لاستعماله اللغوي اليومي، وإثراء رصيده اللغوي وثروته اللفظية مما ينعكس ايجابا على مستواه الفكري والحضاري.

فالشواهد عموما والقرآنية خصوصا هي جزء من النّص المعجمي له أهميته ومكانته الخاصة فهو عبارة عن تعريف من جهة ومكون من مكونات التعريف من جهة أخرى لا يمكن الاستغناء عنه فأى حال من الأحوال. فالمعجمي بعد جمع مادته يخوض مرحلة معقدة وعسيرة وهي عملية الوضع التي يترتب عليه فيها النظر إلى عمودي هذه المرحلة وهما الترتيب والتعريف وكلاهما له علاقة مباشرة بمستعمل المعجم الذي يكون قد حدّده كمرحلة سابقة للجمع حتّى. والتعريف يبني من خلال إعطاء المعنى وإثباته بذكر الشواهد المختلفة التي جُمعت منها المادة شعرا ونثرا، ولكانة القرآن عند العرب جمعاء فإنّ المعجميين يجعلونه المصدر الأول في عمليتي الجمع والوضع.

6- خاتمه:

استعمال الشواهد في المعاجم اللغوية هو مرآة عاكسة للحضارة الفكرية للمرحلة المؤلف فيها المعجم. فقد "ثبت أن الاطلاع على معجم أي لسان، مدعما بالشواهد مرآة صادقة، ومقياس حقيقي لحضارة الأمة، وأنماط تفكير أصحابها ومجالات نشاطهم، ومدى اسهامهم في الفكر الإنساني"¹⁷.

الشواهد في المعاجم اللغوية مثلت آلية من آليات الشرح في مواضع، وحجج وبراهين على المعاني في مواضع أخرى. المعجم المنضوي على الشواهد باختلافها يساعد مستعمل المعجم على تحديد المستويات اللغوية للمواد المعجمية المنضوي عليها المعجم بسهولة.

تساعد عملية الاستشهاد بالشواهد المقيدة خاصة على تحديد تاريخ الكلمة مما يساعد أصحاب المعاجم التأتيلية والتاريخية على تتبع حياة الألفاظ واستعمالاتها.

المعاجم اللغوية غنية بالشواهد القرآنية ولعل السبب راجع لكون المعاجم القديمة منها اعتمدت على القرآن في جمع المادة حتى أنها مثلت في مواضع عديدة وجه من أوجه التعريف، والمعاجم الحديثة سرت على خطى القديمة فاعتمدت على الشواهد بكثرة لكن كدعم لما تمّ طرحه من معاني.

الهوامش والإحالات:

- ¹ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2008، ص497.
- ² إبراهيم بن مراد، من المعجم إلى القاموس، دار الغرب الاسلامي، تونس، ط1، 2010، ص183.
- ³ أحمد بن عبد الرحمن بالخير، المعجم الوسيط والمعايير المعجمية الحديثة دراسة وصفية تحليلية، دار الفرقد، دمشق، ط1، 2013، ص195.
- ⁴ حلام الجيلاني، تقنيات التعريف بالمعاجم العربية المعاصرة، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص205.
- ⁵ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج1، ص207.
- ⁶ ابن منظور، لسان العرب، ص209.
- ⁷ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص58.
- ⁸ حلام الجيلاني، تقنيات التعريف بالمعاجم العربية المعاصرة، ص208.
- ⁹ ابن منظور، لسان العرب، ص204.
- ¹⁰ المرجع نفسه، ص218.
- ¹¹ المرجع نفسه، ص206.
- ¹² المرجع نفسه، ص208.
- ¹³ المرجع نفسه، ص240.
- ¹⁴ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص46.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص51.
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص54.
- ¹⁷ حلام الجيلاني، تقنيات التعريف بالمعاجم العربية المعاصرة، ص208.